قضية عنوان كتاب البيان

للجاحظ

الأستاذ : الشاهد البوشيخي

لم يكن يخطر بالبال أن يصبح اسم (البيان) موضع نزاع ، بل قد بلغ من اطمئنان النفس إلى اسمه المعروف أن مرت القراءة الأولى للكتاب دون أن يلحظ البصر أو يثقف النظر شيئاً مما يثير السؤال على كثرته . ولكن ما إن بدىء في القراءة الثانية حتى طرح السؤال ، ولم تنته إلا والسؤال قد أصبح إشكالاً يتطلب الحل : هل العنوان الحقيقي للكتاب هو « البيان والتبْيين » بيائين ؟ أم « البيان والتبيُّن » بياء واحدة مشددة ؟ .

وتواصل البحث ، فإذا السؤال قضية لها تاريخ ، وإذا المتصدون لها في موقفهم من كلمة « التبيُّن » أصناف ثلاثة :

١ — مشيرون إليها إشارة ، كالمستشرق دي سلان ، والمستشرق كارل بروكلمان ، والأستاذ عبد السلام محمد هارون ، والدكتور إبراهيم سلامة .

٢ — وجازمون أو ظانون بأنها الصواب ، كالمستشرق كليمان هيوار — ولعله أول جازم - والدكتور بدوي طبانة ، والدكتور ميشال عاصي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٣ — ومعارضون ، وهم الجمهور المتمسك بالتبْيين عن علم بالتبيُّن . ولعل الدكتور الطاهر مكي أول من كتب منهم في ذلك .

وبنسق تواريخ تصدي هؤلاء للقضية يتكون لها تاريخ ، وبعرض مواقفهم داخله يتميز ما للسابق مما للاحق . وأوائك على التوالي :

١ — البارون ماك گوكين دي سلان : (Le Baron Mac Guckin pe Slane)

ولعله أول من عثر على « التبيّن » وأشار إليها في العصر الحديث ، وذلك في ترجمته الانجليزية لوفيات الأعيان التي صدرت بباريس عام ١٨٣٨ م . قال معلقاً على عبارة « كتاب البيان والتبيين »[1] الواردة في ترجمة أبي عثمان بالوفيات : « في المخطوط بخط المؤلف التبيّن »[2] ، وكتب كلمة « التبيّن » بالحروف العربية ، جاعلاً شدة فوق الياء . وهي إشارة لاشكّ مثيرة .

٢ - **كليان هيوار** (Clement Huart)

وقد جزم جزماً بأن الصواب هو « التبين » ، دون سوق أي دليل نقلي أو عقلي على ذلك . قال في كتابه « الأدب العربي » الذي صدرت طبعته الفرنسية الأولى عام ١٩٠٢م[3] ، متحدثاً عن كتب أبي عثمان : « كتاب

---

(١) معجم ابن خلكان ٤٠٥/٢

(٢) معجم ابن خلكان ٤٠٩/٢ . والنص كما في الأصل الأنجليزي هو « التبيّن The Autograph, Has ».

(٣) لم يتيسر الاعتماد على هذه الطبعة ، وإنما اعتمد على الطبعة الثانية (١٩١٢ م) والرابعة (١٩٢٣م) . لكن بعد مقارنة النص فيهما بالنص في الترجمة الانكليزية (١٩٠٣م) للطبعة الأولى ، تبين أنه لايوجد فرق ألبتة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

البيان والتبيّن (وليس التبيين ، كما طبع)[١] ... »[٢] .

٣ – كارل بروكلمان : (Carl Brockelmann)

وقد اكتفى بالإشارة إلى « التبين » وما يعرفه عنها بين قوسين . قال في الملحق الأول لكتابه « تاريخ الأدب العربي » الذي صدر بالألمانية عام ١٩٣٧ م متحدثاً عن كتب أبي عثمان : « ١ – كتاب البيان والتبيين . (أو التبيّن ، وقد ورد كذلك بخط ابن خلكان ، انظره بنشر دي سلان ...)[١] ... »[٣] .

٤ — عبد السلام محمد هارون ، ولم يجاوز اختيار « التبيّن » في المتن أو الإشارة إليها في الهامش ، عند تبيين الفروق بين النسخ ، وذلك في تحقيقه لكتاب (البيان) الذي أصدر طبعته الأولى عام ١٩٤٨ م ، مع أن النسخة

---

(١) القوسان بالأصل .

(٢) الأدب العربي ٢١٣ . والنص كما في الأصل الفرنسي هو :

« Kitâb El Bayân w'et - Tabayyon (non Tabyîn , comme on L'a imprimé) ... » .

ونظيره في الأصل الانجليزي هو :

« Kitâd al - Bayân w'I - Tabayyun (not Tabyîn, as it has been Printed) ... » 213 - 214

(٣) الملحق الأول ٢٤١ . وترجمة النص من الطبعة العربية لتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٣/١١٠ . والسبب في الاعتماد على الملحق دون هذه الطبعة أنها مزجت – كما قال المترجم في مقدمة الجزء الأول منها – « بين الكتاب الأصلي وملاحقه مع ملاحظة الطبعتين الأولى والثانية للكتاب الأصلي » . فتعذر لذلك التأريخ الصحيح للإشارة إلى « التبين » لدى بروكلمان اعتماداً عليها ، وتعين الرجوع إلى الأصل ، فوجد أن لاذكر « للتبيّن » في المجلد الأول من الأصل ، وإن في الطبعة الثانية المهذبة الصادرة سنة ١٩٤٣ م (انظر : ص ١٥٩ منه) ، مع أنه طبع بعد الملحق الأول بست سنين . وتلك أمانة كان ينبغي أن يكون الناقل العربي عليها أحرص .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المعتمدة لديه (ل) ،ليس في متنها وعنوانها - وإن لم يهتم به — إلا « التبيُّن »[١] « مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة [٢] » إحياناً [٣] .

٥ — إبراهيم سلامة ، ولم يجاوز الإشارة إلى رأي هيوار . قال في هامش كتابه « بلاغة أرسطو بين العرب واليونان » [٤] معلقاً على كلمة التبين الموجودة بعنوان (البيان) : « يقرؤها هيوارت HUART (التبين بدل التبيين ، ويرى أن الكلمة الأولى تشير إلى النقد والتحقيق أكثر من الكلمة الثانية » [٥].

٦ — بدوي طبانة ،وقدجزم ، مثل هيوار بأن« التبيُّن » هي الصواب ، لكنه لم يسق أي دليل نقلي أو عقلي على ذلك في كتبه [٦] . وكل مافعله أنه أصر في مؤلفاته على كتابة اسم (البيان) هكذا : « البيان والتبيّن » ، إلا في الطبعة الخامسة لكتابه « البيان العربي » ، ففيها التبْيين دائماً . ويغلب على الظن

---

(١) سيأتي تفصيل ما أجمل هنا عند الحديث عن الدليل ١ ، ٢ ، ٥

(٢) البيان ١٨٦/١

(٣) ونفس القول يقال عن نسخة (هـ) التي اعتمد عليها في الطبعة الثانية عام ١٩٦٠ م ، فهي في كل ذلك مثل (ل) .

(٤) صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٠ م ، ثم طبع طبعة ثانية أجود — وعليها أعتمدُ — عام ١٩٥٢

(٥) بلاغة أرسطو ٦٩ . وليس يدرى من أي مصدر استقى أن هيوار « يرى » ذلك ، اذ ليس في كتاب « الأدب العربي » شيء من ذلك كما تقدم ، ولم يعتمد الأستاذ إبراهيم إلا عليه ، كما يشهد بذلك فهرس « المراجع الافرنجية » في كتاب بلاغة أرسطو ٤٠٦

(٦) المقصود : كتبه الأساسية في البلاغة والنقد العربي القديم ، والتي تبتدىء برسالته عن أبي هلال العسكري التي صدرت طبعتها الأولى عام ١٩٥٢ م ، وتنتهي بالطبعة الخامسة لكتابه « البيان العربي » عام ١٩٧٢ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أن ذلك ليس بتراجع ، وإنما هو من أخطاء الطبع ، بدليل فهمه لعنوان (البيان) في قوله : « ويستطيع القارىء أن يتصور موضوع « البيان والتبيين » من اسمه ، فهو البحث في « البيان » أي في « الأدب » وفنونه ، والتعريف بأسباب قوته بتوافر عناصر الجمال الفني فيه ، ودراسة العوارض التي تعتريه ، فتعوقه عن تأدية رسالته ، وهي توليد الإحساس باللذة الفنية بالتأثير في المشاعر والعواطف ، أو قيادة الجماهير وتوجيهها نحو مايراد توجيهها إليه — وهذا مايمكن أن يفهم من كلمة « التبْيين » التي عطفها الجاحظ على كلمة « البيان » .

على أن الجاحظ لم يقصر دراسته على الأدب وتفهّمه ، أو البيان وتبيّنه ، بل عني إلى جانب الدراسة المستفيضة في ذلك بشيء من دراسة مصدر الأدب ...)[1] .

٧ — الطاهر مكي ، وقد عارض بشدة الأخذ « بالتبيّن » دون حجج نقلية . وأحسنُ عرض لآرائه نقلُ نصه المركز في ذلك . قال في الجزء الأول من كتابه « دراسة في مصادر الأدب » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٨ م ، متحدثاً عن (البيان) : « وارتأى المستشرق الفرنسي كليان هيوار Clément Huart (١٨٥٤ - ١٩٢٧)[2] في كتابه الأدب العربي La Iittérature Arabe أن أصل عنوان الكتاب « البيان والتبيّن » لأن كلمة « التبيّن » تشير إلى النقد والتحقيق أكثر من كلمة « التبْيين »[3] ، وتابعه في رأيه بعض الباحثين العرب المحدثين . ولم يسق المستشرق الفرنسي

---

(١) البيان العربي ٦٧ — ٦٨

(٢) القوسان بالأصل .

(٣) يقارن هذا التعليل بما تقدم عن الدكتور إبراهيم سلامة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بين يديه حججاً تعتمد على النقل ، مكتفياً بأدلته العقلية وفيها من التمحك أكثر مما فيها من العلم (١) ، لأن عناوين الكتب لايبحث فيها عما هو أولى وأنسب ، وإنما نلتزم بازائها النص والرواية ، وبخاصة إذا كانت تدعمها شهرة مستفيضة . وما بين أيدينا من مخطوطات الكتاب (٢) يجعل العنوان الذي عرف به إن لم يكن يقيناً قاطعاً ، فهو أقربها إلى اليقين » (٣) .

٨ – ميشال عاصي . وقد رجح (٤) بعد أن بدا له (٥) أن تسمية (البيان) « محرفة عن حقيقتها .. إن العنوان في الأصل قد كان « البيان والتبيّن » لا « البيان والتبْيين » ، وذلك استناداً إلى » (٦) ما يلي :

---

(١) تقدم أن هيوار لم يقدم أي دليل عقلي أو نقلي . ولعل تعليق الدكتور إبراهيم سلامة المتقدم هو السبب في هذا التعقيب .

(٢) ذكر إثر النص انها ست : « لدينا من مخطوطات الكتاب ست فيما أعلم » ولم يتحدث إلا عن خمس (انظر : دراسة في مصادر الأدب ١٦٥ – ١٦٧) مبتدئاً باللتين رمز لهما المحقق عبد السلام هارون بـ (ل) و (هـ) . ومع أنه ليس في هاتين الا « التبين » بياء واحدة مشددة فقد سها الأستاذ الطاهر وتحدث عنها وكأن ليس فيهما إلا التبيين بياءين . بل إنه نقل نص أبي ذر الخشني الموجود في الصفحة الأولى من (هـ) هكذا : « أكمل الفقيه الحسيب ... جميع كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان ... » . وليس في الأصل « إلا التبين » ، بياء واحدة مشددة (انظر صورة الصفحة الأولى في مقدمة البيان ٢٤) .

(٣) دراسة في مصادر الأدب ١٦٤ – ١٦٥

(٤) في كتابه « مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ » الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٤ م

(٥) ونص عبارته هو : « غير أن التسمية كما يبدو لي محرفة » ،

(٦) المفاهيم ٤٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ — « إن لفظة البيان التي تعني التعبير الواضح البليغ في حد ذاته .. هي مرادفة من هذه الوجهة للفظة التبْيين التي تعني الشيء نفسه بالنسبة للشخص المتكلم » (١) .

٢ — « إن لفظة التبيُّن ، وليس التبْيين هي التي تعبر عن وضع . السامع » (١) الذي مُهمّته الفهم ، في مقابل « لفظة البيان ... المختصة » (١) بالقائل الذي مهمته الإفهام .

ومما يرجح صحة هذا « التعليل المنطقي » (١) عنده ، أنه « عثر ... على لفظة « التبيُّن » واردة في أكثر من موضع بدلاً من لفظة التبيين ، حتى في ذكر عنوان الكتاب » (١) وأحال في الهامش على : البيان ٢/٥ ، طالباً مراجعة : البيان ١/٢٧١ أيضاً . وفي الموضعين معاً اختار المحقق « التبيُّن » ، لكنها لم ترد نصّاً في العنوان إلا في الأول .

هذه أهم معالم تاريخ القضية ، وذلك أهم ما يتضمنه ملفها حتى الآن (٢)

أما مايمكن إضافته ، فهو أن الأدلة متضافرة ، النقلية منها والعقلية ، على أن العنوان الحقيقي للكتاب هو « البيان والتبيّن » بياء واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبيين » بياءين . وأهم تلك الأدلة هو :

أولاً — إن « البيان والتبيّن » بياء واحدة مشددة ، هو العنوان الذي عنونت به نسخ ثلاث من أصول الكتاب ، هن أصح النسخ وأوثقها وأقدمها . وتلك هي .

---

(١) المفاهيم ٤٠

(٢) ويمكن تلخيصه في أن كلمة « التبين » في عنوان (البيان) ، واردة كذلك بخط ابن خلكان ، وفي بعض مخطوطات (البيان) ، وان المعارض لها أقوى حجة من الآخذ بها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

١ ـ نسخة مكتبة فيض الله (١) بالآستانة . وهي التي رمز لها المحقق في الطبعة الثانية (للبيان) بـ : (هـ) . ويكفي للتعريف بها وتبيان أهميتها وحجيتها أن يعلم :

١ ـ أن العنوان بها مشكول شكلا تاماً . ونص عبارته هو : « يَشْتَمِلُ هَذَا السِّفْرُ عَلَى جَمِيعِ كِتَابِ الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ (هكذا بتشديد الياء المضمومة) (٢) تَأْلِيفُ أَبِي عُثْمَانَ عَمْرِو بْنِ بَحْرِ الْجَاحِظِ رِوَايَةُ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَغْدَادِيِّ . كَتَبَهُ لِنَفْسِهِ بِخَطِّهِ مُحَمَّد بن يوسف ... بن حجّاج بن زهير اللخمي » (٣) .

٢ ـ أن تاريخ إكمالها « بالقراءة والمقابلة » (٤) هو : « غرة ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة (٤) . وهو أقدم تاريخ لنسخة اعتمد عليها ناشرٌ (للبيان) حتى الآن .

٣ ـ أنها منسوخة من أصل « مشتمل على جميع كِتَابِ الْبَيَانِ

---

(١) انظر عنها : مقدمة البيان ٢٤ ، وفهرس المخطوطات المصورة ٤٣٣/١ رقم ١٠٦ أدب ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٥ . وتوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٤٨١٢ ، كتبت « في أول المحرم سنة خمس وثمانين ومائتين بعد الف » (مخطوطة باريس ٤٠٦) ، لكن ناسخها ليس بضابط ، ومما قاله باوشي عنها في فهرس المخطوطات العربية رقم ٤٨١٢ ، ص ٢٣ :

« Kitâb al - Bayan Wal - Tabayyoun ... Bon neskhi Turc copié en 1285 H. »

(٢) ومع ذلك فقد كتب اسم هاته النسخة في فهرس المخطوطات المصورة ٤٣٣/١ رقم ١٠٦ أدب : « البيان والتبيين » بياءين .

(٣) صورة الصفحة الأولى في مقدمة البيان ٢٤

(٤) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ ، والبيان ١٠١/٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والتَّبيِّن (هكذا بتشديد الياء المضمومة) [١] ... » [٢] ، قد « كُتِبَ .. من [٣] نسخة أبي جعفر البغدادي . وهي النسخة الكاملة . وتم بعون الله وتأييده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة » [٤] ، أي بعد وفاة أبي عثمان بأقل من قرن .

---

(٢) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ ، والبيان ٤/١٠١ .

(١) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ . وسها المحقق أو اخطأ الطابع فكتبها « البيان والتبيين » بياءين (انظر البيان ٤/١٠١) .

(٣) هكذا في الأصل : « من » ، وليس : « عن » ، كما كتبها المحقق او الطابع في البيان ٤/١٠١

(٤) صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤ . والظاهر من هذا النص أن التاريخ المذكور فيه (٣٤٧ هـ) هو تاريخ كتابة نسخة أبي ذر ، وليس تاريخ كتابة نسخة أبي جعفر البغدادي ، كما فهم المحقق حين قال : « ونسخة أبي جعفر هذه كتبت في غرة ربيع الآخر من سنة ٣٤٧ » (مقدمة البيان ٢٤) ، وذلك لأن اللخمي قال في آخر نسخته : « في آخر السفر الذي نسخت منه الثلث الثالث من هذا الكتاب : كتب هذا السفر — وهو مشتمل على جميع كتاب البيان والتبيُّن — من نسخة أبي جعفر البغدادي — وهي النسخة الكاملة — وتم بعون الله وتأييده في غرة ربيع الآخر من سنة سبع وأربعين وثلاثمائة » (صورة الصفحة الأخيرة في مقدمة البيان ٢٤)

والسفر الذي نسخ منه اللخمي ، و « كُتِبَ ... مِنْ ... وتمَّ ... في ... » هو نسخة أبي ذر ، لقول اللخمي بعد ذلك في نفس الصفحة :

« أكملتُ جميع هذا الديوان بالقراءة والمقابلة على الفقيه الأجل الأستاذ .. أبي ذر بن محمد ابن مسعود الخشني أعزه الله وأكرمه ، وهو يمسك على كتابه ، وهو الأصل الذي كتب من نسخة ابي جعفر البغدادي ، فصح بحمد الله وتوفيقه ... » .

وعليه ، فأصلُ أصلِ نسخة مكتبة فيض الله — وهو نسخة أبي جعفر البغدادي — قد يكون مكتوباً قبل سنة ٣٤٧ هـ بسنين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ – أن أبا ذر صاحب الأصل (١) الذي نُسخت منه ، كَتَب بخط يده على الصفحة الأولى منها شهادته بتمام المعارضة بالأصل ، وإكمال اللخمي قراءة جميع النسخة عليه . ويزيد الشهادة قيمة أن صاحبها – وهو مَن هو في الضبط والإتقان – كان – كما قال – معتنياً بـ (البيان) مزاولاً له . قال أبو ذر : « أكمل الفقيه الحسيب ... الأديب أبو عمرو محمد بن يوسف .. ابن حجاج اللخمي ... وفقه الله ، جميع كِتَابِ الْبَيَانِ والتبيُّنِ (هكذا بياء واحدة مشددة) لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله ، وعارض كتابه هذا بكتابي ، وفسرت له ما أشكل من معاني نثره ونظمه ، وشرحت

---

(١) واسمه المكتوب بخطه في صورة الصفحة الأولى ، وبخط اللخمي في صورة الصفحة الأخيرة بمقدمة البيان ٢٤ هو : « أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشني » ، وسها المحقق أو اخطأ الطابع فسماه في مقدمة البيان ٢٤ محمداً : « نقلها من نسخة أبي ذر محمد بن مسعود الخشني » ، وإنما اسم أبي ذر مصعب (٥٣٠ – ٦٠٤ هـ) . قال ابن الأبار في التكملة ٢/٧٠٠ – ٧٠٢ معرفاً به : « مصعب بن محمد بن مسعود ... الخشني . من أهل جيّان . يكنى أبا ذر ، ويعرف بابن أبي ركب . أخذ عن أبيه الأستاذ أبي بكر .. وكان رئيساً في صناعة العربية .. درسها حياته كلها ورحل إليه الناس فيها – مع المعرفة بالآداب واللغات ... وتوفي بمدينة فاس ... » وفي البغية ٢/٢٨٨ توثيق له هام جداً : « ... واتفق الشيوخ على أنه لم يكن في وقته أضبط منه ، ولا أتقن في جميع علومه حفظاً وفهماً . وكان نقاداً للشعر ، مطلق العنان في معرفة أخبار العرب وأيامها وأشعارها ولغاتها ، متقدماً في كل ذلك ... » .

أما محمد فأبوه . ومن السهل أن يختلطا ، لاتفاقهما في الكثير مما يعرفان به . ومما جاء عن محمد في التكملة ٢/٤٦٩ : « محمد بن مسعود ... الخشني النحوي : من أهل جيان ، يعرف بابن أبي ركب ، ويكنى أبا بكر .. ، تقدم في صناعة العربية ، وتصدر لاقرائها ... وكان من جلة النحويين وأئمتهم ... متصرفاً في فنون الآداب ... أخذ عنه الناس ، وتوفي بغرناطة سنة ٥٤٤ » . وينظر أيضاً : البغية ١/٢٤٤

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

له غريب لغته ، وبينت له مواقع بلاغته ، حسب اعتنائي بهذا الكتاب ومزاولتي له ، فكمل له قراءةً عليّ في العشر من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وخمسمائة . والحمد لله حق حمده . قاله وكتبه بخطه أبو ذر بن محمد بن مسعود الخشني في التاريخ المذكور »(١) .

ب — نسخة مكتبة كوبريلي (٢) بالآستانة أيضاً ، وهي التي رمز لها المحقق بـ : (ل) ، واتخذها أصلاً للطبعة الأولى (٣) (للبيان) قبل أن يعثر على (هـ) . ونص العنوان بها هو : « الجزء الأول من كتاب البيان والتبيّن (هكذا بياء واحدة مشددة) تصنيف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ... »(٤) وقد بين المحقق أهميتها في مقدمة تلك الطبعة بقوله « يذكر ياقوت أن كتاب البيان والتبيين نسختان : « أولى وثانية ، والثانية أصح وأجود »(٥) ، فيشتد سؤال الأدباء : أين أولاهما وأين الأخرى ؟ وكان من صنع الله أني حينما

---

(١) صورة الصفحة الأولى بمقدمة البيان ٢٤ . ويقارن بما في : دراسة في مصادر الأدب ١٦٥

(٢) انظر عنها : مقدمة البيان ١٦ — ١٨ ، ٢١ ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٥ — ١٦٦

(٣) جاء في مقدمة البيان ٢١ : « وقد اتخذت نسخة كوبريلي أصلا لهذه النشرة ، (اي الطبعة الأولى) ، منبها على ما بينها وبين سائر النسخ من خلاف » . إلا إذا تعلق الأمر بـ « التبيّن » فإن المحقق يتخذ «سائر النسخ » أصلا « انظر : البيان ١٨٦/١ ، ٢٠٠ ، ٥/٣ ، ١٠١/٤ من الطبعة الأولى) ، وقد يترك التنبيه انظر البيان ١١/١ ، ٥/٢ من الطبعة الأولى) .

(٤) صورة الصفحة الأولى من نسخة كوبريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى ، و ٢٠ من الطبعة الثانية .

(٥) معجم الأدباء ١٠٦/١٦

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اتجهت إلى معارضة أصول الكتاب بعضها ببعض ، تبين لي في أثناء ذلك أن نسخة مكتبة كوبريلي ، هي أصح نسخة من أصول الكتاب ، ولحظت أيضاً أنها كثيراً ماتنفرد ببعض النصوص والعبارات ... ومهما يكن من شيء فلا ريب عندي أن نسخة كوبريلي هي أصح النسخ وأوثقها وأوفرها نصاً »[١].

ومما يزيدها قيمة أن تاريخ الفراغ من نسخها هو : « الجمعة سابع المحرم من سنة أربع وثمانين وستمائة »[٢] ، وأنها « مكتوبة بخط جميل وضبط دقيق »[٣] . فهي إذن قديمة ، بل لولا (هـ) ، لكانت أقدم نسخة اعتمد عليها محققٌ (للبيان) حتى الآن .

جـ - نسخة خزانة القرويين[٤] بفاس . ولا يعرف بين محققي (البيان) مَن اعتمد عليها . ونص العنوان بها هو : « السفر الثالث من البيان والتَّبْيِيْن

---

(١) مقدمة البيان ١٦ - ١٧ . ولكون نسخة (هـ) يقال عنها ماقيل عن نسخة (ل) ، أغفل المحقق في الطبعة الثانية (للبيان) « وضع علامتي الزيادة في كل ما اشتركا فيه ، لما وضح » له « انهما اصلان عظيمان من أصول الكتاب » (مقدمة البيان ٢٤)

(٢) صورة الصفحة الأخيرة من نسخة كوبريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى، ومقدمة البيان ١٨ ، والبيان ١٠١/٤ ، ودراسة في مصادر الأدب ١٦٦

(٣) مقدمة البيان ١٧

(٤) قال عنها الأستاذ العابد الفاسي رحمه الله في فهرس الخزانة : « كتاب البيان والتبيّن (وكتب بخط يده - والجذاذة كلها مكتوبة بخط يده - (صح) فوق الياء المضمومة المشددة) ... السفر الثالث منه ، سفر ضخم بخط أندلسي صحيح ، في رق الغزال ، مقابل على أصول صحيحة . وكثيراً مايشير الكاتب في هامش الجزء إلى المخالفات الواقعه في الأصول المقابل عليها ، وبالجملة ، فهذا السفر من الأصول العتيقة . ولم يوجد في آخره تاريخ النسخ ولا اسم الناسخ ... من تحبيس الخليفة مولاي علي بن محمد بن عبد الله عام ١١٨٣ ... » (الجذاذة رقم ١٢٤٤) . وينظر عنها أيضاً : مجلة الثقافة ٨٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(هكذا بياء واحدة مشددة) ، تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ » [١] .
ولا يوجد منها إلا ذلك السفر . ولو وصلت تامّة لوصل أصلٌ ربما كان أعظم أصول الكتاب المعتمد عليها في تحقيق (البيان) حتى الآن ، وذلك لسببين :

١ – أنها معارضة بثلاثة أصول صحيحة ذات حواش : أصل الوَقَّشي [٢] ورمزه فيها : (ش) [٣] ، وأصل ابن سراج [٤] ، ورمزه : (ج) [٥] ،

---

(١) مخطوطة القرويين ١

(٢) بتشديد القاف نسبة إلى : وَقَش « وهي قرية بنواحي طلبيرة ، مشدّدة القاف » (الحلة السيراء ٢/٢٥٨ . وينظر أيضاً : صفة جزيرة الأندلس ١٩٦) . ومن ينسب إليها من رجالات العلم والأدب في الأندلس كثير (انظر : الحلة السيراء ٢/٢٥٧ – ٢٥٨ ، والذيل والتكملة ١/١٩٧ ، والنفح ٣/٣٧٦ ...) ، ولكن أشهرهم والذي «يعرف بالوقّشي » منهم هو : « هشام بن أحمد بن هشام الكناني ، يعرف بالوقّشي من أهل طليطلة ، يكنى أبا الوليد ... قال ... صاعد ... : أبو الوليد الوقّشي (في الأصل : الوحشي بالحاء) أحد رجال الكمال في وقته ... من أعلم الناس بالنحو واللغة ومعاني الأشعار وصناعة البلاغة ، وهو بليغ مجيد ،شاعر متقدم .. » .

وَكَانَ مِنَ الْعُلُومِ بِحَيْثُ يُقْضَى لَهُ فِي كُلِّ عَامٍ بِالْجَمِيعِ

... توفي أبو الوليد الوقّشي رحمه الله بدانية ... سنة تسع وثمانين واربعمائة ، ومولده سنة ثمان واربعمائة » (الصلة ٢/٦١٧ – ٦١٨ . وينظر عنه أيضاً : طبقات الأمم ٨٤ ، وصفة جزيرة الأندلس ١٩٦ ، والنفح ٣/٣٧٦ – ٣٧٧ ، والبغية ٢/٣٢٧ – ٣٢٨)
ويغلب على الظن أنه هو صاحب الأصل ، لما سيأتي في ترجمة ابن سراج بعد قليل .
والمتتبع لتعليقات المعارض لنسخة خزانة القرويين بأصولها يلمس أن اصل الوقّشي هذا هو الأصل الأساسي للنسخة ، وبعده يأتي أصل ابن سراج ، ثم الأصل الثالث .

(٣) مخطوطة القرويين ٨٩ ، ٩٤ ، ١٢٣

(٥) مخطوطة القرويين ٧٨ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٧ .

(٤) ابناء سراج بين العلماء والأدباء بالأندلس كثير ؛ ولكن أشهرهم « هذا الشيخ ابو مروان ... محيي رسم علم اللسان بجزيرة الأندلس ... وحاوي قصب السبق في إحراز =

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأصل عطا بن الباذش [١] ، والغالب [٢] أنه الموموز له بـ : (خ) . جاء في بعض حواشيها قبالة بعض الرموز المتقدمة :

— « ثَبَتَ هذا في أصل ابن سراج ، واتصل في أصل الوقشي قولُه ... بقوله ... » [٣] .

= بعيد غاياته ، وتجاوز أقصى نهاياته ... » (الذخيرة . القسم الأول ٢/٣٠٨) . وهو عبد الملك بن سراج « إمام اللغة بالأندلس غير مدافَع ... كانت الرحلة في وقته إليه ، ومدار أصحاب الآداب واللغات عليه ... أحفظ الناس للغات العرب ، وأصدقهم فيما يحمله ... (ولد) ... سنة أربعمائة ... وتوفي ... ليلة عرفة سنة تسع وثمانين واربعمائة » (الصلة ١/٣٤٦) . قال في البغية ٢/١١٠ « قال في الريحانة : ... درس الجمهرة فاستظهرها واستدرك الأوهام على المؤلفين ، وطال عمره مع البحث والتنقير ، وكان يقول : طريحتي في كل يوم سبعون ورقة ... » . وقد اجتمع بالوقشي . جاء في النفح ٤/١٦٢ : « واجتمع أبو الوليد الوَقشي وأبو مروان عبد الملك بن سراج ، وكانا فريدَي عصرهما حفظاً وتقدماً فتعارفا ... » .

والراجح أن ابن سراج هذا هو صاحب الأصل (ج) ، لقول ابن خير الإشبيلي في فهرسة مارواه عن شيوخه ٣٢٦ : « كتاب البيان والتبْيِين للجاحظ . حدثني به شيخنا أبو عبد الله جعفر بن محمد بن مكي رحمه الله، عن أبي مروان عبد الملك بن سراج ، قراءة منه عليه ، عن الوزير أبي القاسم بن الإفليلي . ولم تكن له فيه رواية » .

(١) أبناء « الباذ ش كصاحب والذال معجمة » (التاج / بذش) بين العلماء والأدباء بالأندلس كثير ، ولكن عطا هذا لم يعثر له على خبر .

(٢) لأنه لم يُذكر في هامش (مخطوطة القرويين) اسم رابع من أصحاب الأصول المقابل عليها ، فالأسماء ثلاثة ، والرموز ثلاثة . ولكن لم يمكن القطع ؛ لأن المعارض رمز لأصل الوقشي ب : (ش) ، وهو آخر حرف أصلي من الاسم ، ورمز لأصل ابن سراج ب : (ج) ، وهو آخر حرف أيضاً ، أما (خ) ، فليس لها علاقة بـ (الباذش) ، إلا أن يكون المعارض تجنب تكرر الشين ، فاختار حرفاً آخر له علاقة ما بـ (عطا) هذا ، فممكن ، ولكن لم يمكن إثباته .

(٣) مخطوطة القرويين ١٢٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

– « هذا المعلم عليه الذي سقط عند الوقّشي ثبت عند ابن سراج »[١].

– « المعلم عليه في خ . عند ش (...) في حاشية الكتاب . والمعلم الثاني لابن سراج وعطا بن الباذش في الحاشية أيضاً »[٢].

– « هكذا رأيت هذا الاسم في النسخ »[٣].

٢ – أنها قديمة ، كما يستفاد من خطها ورقّ الغزال الذي كتبت فيه[٤] وإذا صح أن صاحب الأصل (ش) هو القاضي أبو الوليد هشام بن أحمد الكناني الذي « يعرف بالوقّشي »[٥] ، وصاحب الأصل (ج) هو الوزير أبو مروان عبد الملك بن سراج الذي روى « كتاب البيان والتبيين ... عن الوزير أبي القاسم بن الافليلي »[٦] ، ـ فان نسخة خزانة القرويين ستكون في الغالب أقدم من (هـ) وإن بقليل[٧] ، لقول المعارض المشعر بقرب العهد ؛ « ثبتت هذه الخطبة في كتاب ش الذي بخطه رحمه الله بعد خطبة يوسف ابن عمر ... »[٨].

---

(١) مخطوطة القرويين ٨٩ . وينظر أيضاً ٩٤ (٢) مخطوطة القرويين ٧٨

(٣) مخطوطة القرويين ١١٩ ، وينظر أيضاً ١٨٣ ، ١٩٤

(٤) قال عنها الأستاذ محمود الطناحي المفهرس بمعهد المخطوطات العربية ، وهو يذكر نماذج من النوادر التي صورتها بعثة المعهد من المغرب : « البيان والتبين (هكذا بياء واحدة فقط) للجاحظ ، الجزء الثالث من نسخة جليلة على رق الغزال بقلم أندلسي نفيس جداً ضارب في القدم » (مجلة الثقافة ٨٣) .

(٥) الصلة ٦١٧/٢ ، وقد تقدم .

(٦) فهرسة ابن خير ٣٢٦ . وقد تقدم .

(٧) لأن تاريخ كتابة (هـ) هو : ٥٨٧ هـ ، ووفاة كل من الوقّشي وابن سراج في : ٤٨٩ هـ . (٨) مخطوطة القرويين ٦٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثانياً – إن ذلك العنوان – على تكرره أربع مرات في متن (البيان) – لم يذكر في كل من نسختي (ل) و (ه) إلا هكذا : « البيان والتَّبَيُّن » بياء واحدة فقط ، وأحياناً مضمومة مشددة :

١ – قال أبو عثمان ، معقباً على استطراد له : « وليس هذا الباب مما يدخل في باب البيان والتبْيِين ، ولكن قد يجرى السبب فيُجرَى معه بقدر مايكون تنشيطاً لقارىء الكتاب » (١) . قال المحقق في الهامش : « ل ، ه : « التبيُّن » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة » (٢) .

٢ – وقال أبو عثمان : « أردنا – أبقاك الله – أن نبتدىء صدر هذا هذا الجزء الثاني من البيان والتبيُّن (٣) بالرد على الشعوبية » (٤) . قال المحقق في الهامش : « ماعدا ل ه : « والتبْيِين » . » (٤) .

٣ – وقال أيضاً : « هذا – أبقاك الله – الجزء الثالث من القول في البيان والتبيين » (٥) . قال المحقق في الهامش : « ل ، ه : « والتَبيُّن » . » (٦)

٤ – وقال في آخر الكتاب : « وهذا – أبقاك الله – آخر ما ألفناه من كتاب « البيان والتبيُّن (٧) » (٨) . قال المحقق في الهامش : « ماعدا ل ، ه :

---

(١) البيان ١/١٨٦

(٢) البيان ١/١٨٦ . وفي هامش البيان ١/١٨٦ من الطبعة الأولى قال : « ل فقط : « التبيّن » مع ضبطه بتشديد الياء المضمومة » .

(٣) في البيان ٢/٥ من الطبعة الأولى : « والتبيين » بياءين ، دون التنبيه على مافي(ل)

(٤) البيان ٢/٥ (٥) البيان ٣/٥

(٦) البيان ٣/٥ . وفي هامش البيان ٣/٥ من الطبعة الأولى قال : « ل : « والتبين »

(٧) في البيان ٤/١٠١ من الطبعة الأولى : « والتبيين » بياءين . وقد علق عليها المحقق بقوله : « ل : « والتبين » . » .

(٨) البيان ٤/١٠١ . وياء التبيُّن في الأصلين معاً : (ل ، ه) مضمومة مشددة (انظر : صورة الصفحة الأخيرة بمقدمة البيان ٢٤ ، وصورة الصفحة الأخيرة من نسخة كمبريلي بمقدمة البيان ١٧ من الطبعة الأولى ، وبكتاب تحقيق النصوص ونشرها ١٠٣) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والتبيين » . »[1] .

وبمقارنة النصوص بعضها ببعض ، يتبين مدى اضطراب المحقق في أمر العنوان[2] ، وتردده بين « التبيُّن » الواردة في الأصلين العظيمين (ل ، ه) الممثلين للنسخة الثانية الأصح والأجود لديه[3] ، وبين « التبْيين » التي لم ترد إلا في « النُّسخ التوائم »[4] ، لكن تدعمها شهرة مستفيضة .

---

(١) البيان ١٠١/٤

(٢) وبمقارنة النصوص في الطبعتين بعضها ببعض أيضاً ، يتبين مدى تطور موقف المحقق من « التبيُّن » ، لاسيما إذا أضيف مافي : البيان ١١/١ من الطبعتين .

(٣) انظر مقدمة البيان ١٦ ، ٢٤

(٤) هي ماعدا : ل ، ه من النسخ التي اعتمد عليها المحقق . ومن وصفه لها يتجلى ضعف قيمتها . قال عنها :

١ — « نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (٤٧١ أدب) ... وليس بها ضبط ، وعنوانها عجيب : « كتاب البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن يحيى (كذا) الجاحظ ، وهو كتاب جيد النظم والنثر الموضوع على منوال كامل المبرد (كذا) بل يفوق عليه حسناً وبلاغة » . وكتب في صدرها أيضاً : « فيما صار نسخه بالمدينة المنورة ... فيماه مايو سنة ١٨٨٢ » ... ١٢٩٩ الهجرية » .

٢ — « نسخة دار الكتب المصرية المحفوظة برقم (١٨٧٢ أدب) ... وليس بها ضبط ولكن بها أثر قراءة وتصحيح ... وفي خاتمة هذه النسخة : « وكان الفراغ ... يوم الخميس ... ١١ محرم الحرام سنة ١٣٠٩ ... » .

٣ — « نسخة المكتبة التيمورية ... وهذه النسخة مجهولة التاريخ وبها عدة اسقاط ... نحو ٢٠ صفحة من مواضع متفرقة » .

(مقدمة البيان ١٨ - ١٩ ، وينظر أيضاً : دراسة في مصادر الأدب ١٦٦ - ١٦٧) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثالثاً — أنه لم يذكر في متن نسخة جامع ابن يوسف [١] بمراكش — والموجود منها الجزء الثالث فقط — إلا هكذا : « البيان والتبيُّن » بياء واحدة مشددة :

١ — قال أبو عثمان أول المخطوطة : « هذا — أبقاك الله — الجزء الثالث من البيان والتبين (هكذا بياء واحدة فقط) .[٢] » .

٢ — وقال آخر المخطوطة : « وهذا — أبقاك الله — آخر ماألفناه من كتاب البيان والتبيُّن (بتشديد الياء المضمومة) . »[٣] .

رابعاً — أنه ورد مكتوباً كذلك في بعض مخطوطات المصادر القديمة مثل وفيات الأعيان [٤] والمنزع : جاء في نسخة السويد من المنزع ، عند الحديث عن صور البيان الجزئية : « وقد رام أبو عثمان ... استيفاء ذلك بكتابه في البيان والتبين (هكذا بياء واحدة فقط) [٥] .

---

(١) ليس للمخطوطة عنوان أصلي ، وما في التحبيس المكتوب على وجه الورقة الثانية رسم هكذا : « حبس ... مولانا زيدان أمير المؤمنين ... جميع هذا المجلد المشتمل على الجزء الثالث من البيان والتبيّنين (بياءين) على خزانة جامع المنصور ... وكتب ... عام خمسة وعشرين وألف » .

(٢) مخطوطة مراكش ٩ و

(٣) مخطوطة مراكش ٨٦ و

(٤) انظر ماتقدم في : ص ٩ . وينظر أيضاً : الوفيات بتحقيق إحسان عباس ٤٧١/٣ ، ففي متنها أن من أحسن تصانيف أبي عثمان « وأمتعها : كتاب « البيان والتبيّن » . » هكذا بياء واحدة مشددة . ولم يعلق عليها الدكتور إحسان بشيء ، مما يفيد أن النسخ الثماني المعتمد عليها في تحقيق هذا الجزء متفقة في ذلك .

(٥) المنزع ٨٦ من نسخة السويد .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

خامساً أنه الذي ترجحه نصوص (البيان) التي وردت بها عبارة العنوان [١] بل إن أولها ليكاد يكون صريحاً أو كالصريح في أنه تفسير وتعليل للعنوان . وذلك لإيراده في مطلع الكتاب ، وسوقه في سياق تبيين أهمية البيان الذي هو الشق الأهم في العنوان :

١ – قال أبو عثمان : « ... وقال الله تبارك وتعالى : (وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ [٢]) ، لأن مدار الأمر على البيان والتبيُّن [٣] ، وعلى الإفهام والتفهُّم [٤] . وكلما كان اللسان أبين كان أحمد ، كما أنه كلما كان القلب أشد استبانة كان أحمد . والمُفهِم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل ، إلا أن المفهم أفضل من المتفهم ... هكذا ظاهر هذه القضية ... إلا في الخاصّ الذي لا يذكر ... » [٥] .

٢ – وقال بعد أن ذكر كثيراً مما تحب العرب وتكره في باب القول ، ككرههم للفضول في البلاغة وأمرهم بالتبيُّن [٦] . « وأنا أوصيك

---

(١) انظر : البيان ١/١١ ، ٢٠٠ ، ٢٧١ . وهي غير النصوص الأربعة المتقدمة التي ذكر فيها العنوان نفسه .

(٢) سورة إبراهيم ٥

(٣) قال المحقق معلقا على هاته الكلمة في الهامش : « ماعدا ل ، هـ : « التبيين » » والنص كله شاهد على خطأ ما في غير الأصلين العظيمين . وقد سها المحقق في الطبعة الأولى ، فاختار « التبيين » دون أن يعلق عليها بشيء ، ولو بتبيين الفرق بين النسخ !

(٤) قال المحقق في الهامش معلقاً على هاته الكلمة : « ماعدا ل ، هـ : « والتفهيم » . » والنص كله شاهد على خطأ ما في غير (ل ، هـ) . وقد سها المحقق في الطبعة الأولى فاختار « التفهيم » ، دون أن يعلق بشيء .

(٥) البيان ١/١١ – ١٢

(٦) وهذا آخر ما ذكر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ألا تدع التماس البيان والتبْيين (قال المحقق في الهامش : ل ،هـ: « والتبيّن »[١] .) إن ظننت أن لك فيها طبيعة ، وأنها يناسبانك بعض المناسبة ، ويشاكلانك في بعض المشاكلة »[٢] .

فقوله : « فيها ... ويناسبانك ... ويشاكلانك » مما يرجح مافي الأصلين العظيمين (ل ، هـ) ، وبترجيحه يزداد العنوان المستدل عليه بذلك ترجحاً[٣] .

سادساً ـ أنه الذي يمثل خلاصة فكر أبي عثمان في (البيان) ، ويلخص المحور الذي تدور عليه والأساس الذي تنطلق منه نظريته في البيان ، ذلك أن الإنسان عند أبي عثمان ، ليس كباقي العالم حكمة فقط ، ودليلاً عليها فقط ، بل هو حكمة تعقل« الحكمة وعاقبةالحكمة »[٤] ، و « دليل يستدل »[٤] وله « سبب يدُل به على وجوه استدلاله ، ووجوه مانتج له الاستدلال »[٤] ، هو البيان[٤] . بخلاف غـــيره من « الأجرام الجامدة والصامتة »[٥] مثلاً ، فهي « لاتتبيَّن ولا تحس ، ولاتفهم ولا تتحرك إلا بداخل يدخل

---

(١) البيان ١/٢٠٠ . وفي البيان ١/٢٠٠ من الطبعة الأولى قال : « ل فقط : « والتبين » . » .

(٢) البيان ١/٢٠٠

(٣) وأما النص الثالث فهو : « قال صاحب البلاغة والخطابة ، وأهل البيان وحب التبين (قال المحقق في الهامش : ماعدا هـ : « التبيين » .) : إنما عاب النبي صلى الله عليه وسلم المتشادقين والثرثارين ... » (البيان ١/٢٧١) ، وقد اختار المحقق فيه « التبيُّن » نظراً للسياق .

(٤) الحيوان ١/٣٣ (٥) نفسه ١/٤٥

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

عليها (١) » (٢) .

وقد جعل الله عز وجل الحكمة كلها إزاء عينيه وتجاه سمعه ، « ثم حث على التفكير والاعتبار ... وعلى التعرف والتبيُّن ... فجعلها مذكرة منبهة ، وجعل الفِطَر (٢) تنشىء الخواطر ، وتجول بأهلها في المذاهب ، ذلك الله رب العالمين ، (فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (٣)) . »(٤) .

فالإنسان إذن مُتبيِّن ومُبِين ، وذلك مايميزه عن العالَم ، ويحدد موقعه ووظيفته في العالَم .

وقد كان لانطلاق أبي عثمان من هذا الأساس العام أثر كبير في دوران تفكيره الأدبي حول « البيان والتبيُّن » مرتبطين ، وانشغاله بهما أو بما يرجع إليهما بوجه أو بآخر ، واعتباره لهما رأس الفضل وعنوانه .

فهو في (الحيوان) قبل (البيان) يقول ، متحدثاً عن حرص الزنادقة على تجميل كتبهم وإخراجها في أحسن ورق وأجود خط : « ولو كانت كتبُ الزنادقة كتبَ حكم وكتب فلسفة ، وكتب مقاييس وسنن ، وتبيُّن وتبْيين ، أو لو كانت كتبهم تعرف الناس أبواب الصناعات .. أو بعض مايتعاطاه الناس من الفطن والآداب ـ وإن كان ذلك لايقرب من غنى ولا يبعد

(١) الحيوان ١/٤٥ .

(٢) علق المحقق على هاته الكلمة والتي بعدها بقوله : « وفي ط « وجعل الفِكْر ينشىء » . » . والأشبه بلغة أبي عثمان أن تكون الفِكَر ، جمع فِكْرة ، لا الفِكْر مفرداً ، ولا الفِطَر جمعاً . جاء في ب ١/٧٥ : « المعاني القائمة في صدور الناس ... والمتصلة بخواطرهم والحادثة عن فِكَرهم » . وينظر أيضاً : الفِكَر في : مصطلحات نقدية وبلاغية ٢٥١

(٣) سورة المؤمنون ١٤ (٤) الحيوان ١/٣٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من مأثم - لكانوا ممن قد يجوز أن يظن بهم تعظيم البيان والرغبة في التبيُّن . ولكنهم ذهبوا فيها مذهب الديانة ... فإنما إنفاقهم في ذلك كإنفاق المجوس على بيتِ النَّار ... »(١) .

وفي (الحيوان) أيضاً يقول ، مبيّناً أن المصلحة في أمر الدنيا امتزاج النقيضين : « اعلم أن المصلحة في أمر ابتداء الدنيا إلى انقضاء مدتها امتزاج الخير بالشر ... ولو كان الشر صِرفا هلك الخلق ، أو كان الخير محضاً سقطت المحنة ، وتقطعت أسباب الفِكْرة ، ومع عدم الفكرة يكون عدم الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التمييز ، ولم يكن للعالم تثبُّت وتوقُّف وتعلُّم ، ولم يكن عِلم ، ولا يعرف باب التبيُّن .. ولا تفاضل في بيان ... وعادت الحال . . إلى حال السبع والبهيمة ... وإلى حال النجوم في السخرة ...

وكل شيء في العالم فإنما هو للإنسان ، ولكل مختبر ومختار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيُّن والرَّويّة »(٢) .

وفيه أيضاً يقول : موثّقاً راوياً له : « وحدثني بعض أهل العلم ... وكان صاحب أخبار وتجربة ، وكان كِلفا بحب التبيُّن(٣) ... معتزماً للأمور يجب أن يفضي إلى حقائقها ... وكان يعرف للعلم قدره ، وللبيان فضله »(٤) .

---

(١) الحيوان ١/٥٦

(٢) الحيوان ١/٢٠٤ — ٢٠٥

(٣) قال المحقق في الهامش معلقاً على هاته الكلمة : « في الأصل : « التبيين » . « وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبيُّن » بمعنى التفهُّم والاكتناه » . ومن ذلك التكرر مافي : الحيوان ٣/٦ ، لاسيما إذا قورن بما في مفاخرة الجواري (رسائل الجاحظ ٢/٩١) . وقد يكون منه أيضاً مافي : الحيوان ٢/٢٢٤ ، وإن لم يسترع انتباه المحقق .

(٤) الحيوان ٤/٥١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أما حين ينتقل إلى (البيان) فإنه يجعل « مدارَ الأمر على البيان والتبيُّن ، وعلى الإفهام والتفهّم [١] قولاً وعملاً . وقد صرح بذلك في مواضع متعددة ، وعبر عنه بألفاظ عدة [٢] :

١ — قال معللا تعريفه للبيان بالمعنى الاسمي العام : « . . لأن مدار الأمر ، والغاية التي إليها يجري القائل والسامع ، إنما هو الفهم والإفهام ، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع » [٣] .

٢ — وفي نفس الباب [٤] ساق قول « علي بن الحسين .. لو كان الناس يعرفون جملة الحال في فضل الاستبانة ، وجملة الحال في صواب التبيين ، لأعربوا عن كل ماتختلج في صدورهم ... ولكنهم من بين مغمور بالجهل ... ومعدول بالهوى عن باب التثبّت ، ومصروف بسوء العادة عن فضل التعلّم » [٥] .

٣ — وقال أيضاً أثناء حديثه عما ينبغي وما لاينبغي في البيان والبلاغة : « ومما يدل على شغفهم وكلفهم ، وشدة حبهم للفهم والإفهام قول الأسَدي في صفة كلام رجل نَعَت له موضعاً من تلك السباسب التي لاأمارة فيها بأقل اللفظ وأوجزه ، فوصف إيجاز الناعِت وسرعة فهم المنعوت له ، فقال :

---

(١) البيان ١/١١

(٢) بعضها على ترتيب الأصل كالإفهام والتفهّم ، وبعضها بعكس ذلك كالفهم والإفهام ، وذلك في الحالين هو مقتضى المقام ، لأن التبيّن قد يكون سابقاً للبيان وقد يكون لاحقاً له . (انظر : التبين في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٦ — ١٦٨) .

(٣) البيان ١/٧٦ (٤) باب البيان .

(٥) البيان ١/٨٤ . وانظر : الاستبانة في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بِضَربة كَعْبٍ لم تُعَدْ غير أنثيي
عَقولٌ لأوْصافِ الرِّجال ذَكُورُها.(١) »

٤ – وقال حاصراً الأمور كلها في ذلك : « وإنما مدار الأمور ، والغاية التي يجري إليها : الفهم ثم الافهام ، والطلب ثم التثبُّت »(٢) .

فمن تأمَّل هذه النصوص وأمثالها وما يلحق بها ، وتبيَّن في سياقها وموقعها من الكتاب ، وربط مضمونها بمضمون (البيان) العام – علم أن المدار فعلاً على « البيان والتبيُّن » ، وأن أبا عثمان لم يكد يطرق غيرهما ، أو يتطرق إلى شيء بمعزل عنها .

فإذا أضيف إلى ذلك أنهما في تصور أبي عثمان مرتبطان غاية الارتباط ومتكاملان غاية التكامل : التبيُّن يعين على البيان وهو ضروري له في جميع المراحل ، قبل الولادة وأثناءها وبعدها ، والبيان يعين على التبيُّن وهو مادة له – إذا أضيف ذلك ظهر أن عبارة « البيان والتبيُّن » هي أحسن خلاصة لفكرة أبي عثمان في (البيان) ، وأنها – بالنظر إلى مضمون الكتاب ، والتصور الأساسي الذي قام عليه – أصدقُ عنوان .

سابعاً – أن أبا عثمان لم يكد يعنون مؤلَّفاً باسمين معطوف أحدهما على الآخر – وما أكثر مافعل ذلك – إلا وبين الاسمين ضرب من التقابل أو التخالف .

ويكفي للاطمئنان إلى ذلك قراءة مقدمة (الحيوان) ، أو الاطلاع على عناوين ماذكر من كتب ورسائل لأبي عثمان(٣) . على أن العناية بالشيء

---

(١) البيان ١/١٥٥ – ١٥٦ (٢) البيان ٢/٣٩

(٣) انظر مثلاً : معجم الأدباء ١٦/١٠٦ – ١١٠ ، وهدية العارفين ١/٨٠٢ – ٨٠٣ ، وتاريخ الأدب العربي ٣/١١٠ – ١٢٦ ، وأدب الجاحظ ١١٧ – ١٤٤ ، وأبو عثمان الجاحظ ٢٨٥ – ٣٠٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومقابله خصيصة من خصائص تفكير وتعبير عمرو بن بحر . جاء في المقدمة المذكورة : « ... وعِبتي بكتاب الصُّرحاء والهُجناء ، ومفاخرة السُّودان والحُمران ، وموازنة مابين الخُؤولة والعُمومة ، وعبتني بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ،ومراتب التجارات ، وبكتاب فضل (١) مابين الرجال والنساء ، وفرق مابين الذكور والإناث ... وعبتني بكتاب العرب والموالي ... وعبتني بكتاب العرب والعجم ... (٢) » إلى آخر ماذكر من الكتب التي تتجلى فيها أيضاً عنايته بالمتقابلات والفروق .

وفي تلك المقدمة أيضاً جاء : « وعبتني برسائلي ، وبكل ماكتبتُ به إلى إخواني وخلطائي من مزح وجِد ،ومن إفصاح وتعريض ،ومن تغافل وتوقيف، ومن هجاء لايزال ميسمه باقياً ، ومديح لايزال أثره نامياً ، ومن مُلَح تُضحك ومواعظ تبكي » (٣) .

والذي ينسجم مع هذه الخاصية وتلك العادة ، هو عنوان « البيان والتبيُّن » بياء واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبيين » بياءين (٤) .

---

(١) هكذا في الأصل بالضاد المعجمة . وكذلك ذكرت في : أدب الجاحظ ١٣٧ ، وأبو عثمان الجاحظ ٣٠٦ . والصواب في الغالب « فصل » بالصاد المهملة ، لذكر أبي عثمان لها كذلك في البيان ١٨٦/١ ، ولمناسبة مابعدها لها : « مابين ... وفرق ... » ، ولكون فضل بالمعجمة – ومثلها تفضيل – ترد في عناوين أبي عثمان متبوعة بـ « على » كما في : « فضل الفرس على الهملاج» ... (تاريخ الأدب العربي ١٢٥/٣ ، وأدب الجاحظ ١٣٧) . وقد ذكرها بروكلمان بالمهملة أيضاً في تاريخه للأدب العربي ١٢٣/٣

(٢) الحيوان ٤/١ – ٥ (٣) الحيوان ٧/١

(٤) انظر : التبيين في : مصطلحات نقدية وبلاغية ١٦٣ – ١٦٥ ، فهناك وضّح المعنى الذي يستعمله به أبو عثمان ، وذكرت المعاني المحتملة له في عبارة العنوان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لاسيما ومضمون (البيان) ذلك المضمون ، وحيز « التبين » في فكر أبي عثمان ذلك الحيز .

هذه أهم الأدلة . ولعلها كافية لتحصيل اقتناع — إن لم يكن يقيناً قاطعاً فهو أقرب مايكون إلى اليقين — بأن العنوان الحقيقي للكتاب هو : « البيان والتَّبيُّن » بياء واحدة مشددة ، وليس « البيان والتبْيين » بياءين .

وعسى أن يكون في ذلك بيان لحقيقة ، وفصل في نزاع ، وتصحيح لتحريف ، وإنصاف لصواب مهجور من خطأ مشهور ، وخدمة للعلم وأهله . وبالله التوفيق .

فهرس المصادر والمراجع
المذكورة في البحث

— أبو عثمان الجاحظ : د . محمد عبدالمنعم خفاجي . ط ١ . بيروت ١٩٧٣

— أدب الجاحظ : حسن السندوبي . ط ١ القاهرة ١٩٣١ م .

— الأدب العربي لكليمان هيوار (بالفرنسية والانجليزية) :

Littérature Arabe . CL . Huart . Librairie Armand Colin . Paris . 2éme Ed . 1912 . 4 éme Ed . 1923 .

— A Hirtory of Arabic Literature. Cl. Huart. London. 1903

— البغية = بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .

— بلاغة أرسطو بين العرب واليونان للدكتور إبراهيم سلامة . ط ٢ . مكتبة الانجلو المصرية . ١٩٥٢ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— البيان = البيان والتبين لأبي عثمان الجاحظ (عمرو بن بحر) :
— ط ٢ . تحقيق عبدالسلام هارون. مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة ٩٦٠ م-١٩٦١م . (دون نص) .
— ط ١ . تحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ١٩٤٨ م - ١٩٥٠ م .
— مخطوط بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٤٨١٢
— مخطوط بخزانة القرويين بفاس تحت رقم ١٢٤٤ . (السفر الثالث فقط).
— مخطوط بخزانة جامع ابن يوسف بمراكش تحت رقم ١١٣ . (الجزء الثالث فقط) .
— البيان العربي للدكتور بدوي طبانة . ط ٥ . دار العودة . بيروت ١٩٧٢
— التاج = تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي مصر ١٣٠٦ م .
— تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (كارل) :
— بالعربية : ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف بمصر . ط ٣ (ج ١) ١٩٧٤ م . ط ٢ (ج ٣) ١٩٦٩ م .
— بالألمانية :
— Geschichte des Arabischen Literatur. Erster Band C. Brockelmann Leiden 1943
— Geschichte Des Arabischen Literatnr. Erster Suppl--ementband. C. Brockelmann. Leiden. 1937
= تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون . القاهرة . ط ٢ ، ١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م .
= التكملة = التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار. ط العطار ، مصر .
= الحلة السيراء لابن الأبار (أبي عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي) ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس . القاهرة . ط ١ ، ١٩٦٣ م

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— الحيوان لأبي عثمان الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . ط ١ ١٩٣٨ م - ١٩٥٨ م .

— دراسة في مصادر الأدب للدكتور الطاهر مكي . ط ١ . ١٩٦٨ م .

- الذخيرة = الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام . المجلد الثاني من القسم الأول . القاهرة - لجنة التأليف . تحقيق جماعة من الأساتذة . ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .

— الذيل والتكملة - الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة للمراكشي (أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري) . القسم الأول من السفر الأول . تحقيق الدكتور محمد بن شريفة . بيروت .

— صفة جزيرة الأندلس = صفة جزيرة الأندلس . منتخب من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري (أبي عبد الله محمد بن عبد الله) . تحقيق : أ . ليفي بروفنصال . القاهرة . ١٩٣٧ م .

- الصلة = كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال (أبي القاسم خلف بن عبد الملك) . تحقيق السيد عزت العطار الحسيني . ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .

- طبقات الامم لصاعد (أبي القاسم صاعد بن أحمد الأندلسي) . نشر علي محمد أبي طالب . طبعة محمد محمد مطر . مصر .

— فهرس خزانة القرويين (جذاذات) . مخطوط بخزانة القرويين بفاس .

- فهرس المخطوطات العربية لبلوشي (بالفرنسية) :

— Catalogue des Manuscrtis Arabes des nouvelles Acquisitions. B. Nationnale, E. Blochet. Editions Erneste Leroux Paris 1925

- فهرس المخطوطات المصورة (بمعهد المخطوطات العربية) . تصنيف فؤاد سيد . القاهرة . ج ١ . ١٩٥٤ م

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

— فهرست ابن خير = فهرست ماروا ه عن شيوخه من الدواوين المصنفة في ضروب العلم وأنواع المعارف الشيخ ... أبو بكر محمد بن خير الله الإشبيلي . ط ٢ . ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .

- القرآن الكريم : مصحف بالرسم العثماني على رواية الإمام ورش . القاهرة . ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٤ م .

— مجلة الثقافة = الثقافة . العدد ٢٨ . السنة ٣ . تاريخ يناير ١٩٧٦ م مصر . (مقالة : التراث العربي في المغرب وقضية التواصل بين المشرق والمغرب للأستاذ محمود الطاحي) .

— مخطوطة باريس = البيان والتبين .

— مخطوطة القرويين = البيان والتبين .

— مخطوطة مراكش = البيان والتبين .

— مصطلحات نقدية وبلاغية = مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبين للجاحظ . (رسالة قدمت لنيل دبلوم السلك الثالث من جامعة محمد بن عبد الله بفاس . كلية الآداب والعلوم الإنسانية . السنة الجامعية ٧٦ - ١٩٧٧ م) مرقون .

— معجم ابن خلكان (وفيات الأعيان) (بالانجليزية)

— معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) لياقوت الحموي . نشر الدكتور أحمد فريد رفاعي .

— مفاخرة الجواري = كتاب مفاخرة الجواري . لأبي عثمان الجاحظ . ضمن رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٥ م .

— المفاهيم = مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ . للدكتور ميشال عاصي . ط ١ . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٧٤ م .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

– الملحق الأول = تاريخ الأدب العربي .

– المنزع = المنزع البديع في أساليب التجنيس والبديع للسجلماسي (أبي محمد القاسم بن محمد) . مخطوط يحققه الأستاذ علال الغازي تحت إشراف الدكتور أمجد الطرابلسي ، على نسختين : نسخة السويد ونسخة تطوان .

– النفح = نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (أحمد بن محمد التلمساني) تحقيق الدكتور إحسان عباس . بيروت . ١٩٦٨ م .

– هدية العارفين = هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين لاسماعيل باشا البغدادي .

– وفيات الأعيان لابن خلكان (أبي العباس أحمد بن محمد) . تحقيق الدكتور إحسان عباس . بيروت . ١٩٦٨ م – ١٩٧٢ م .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net